

## جامع معرة النعمان الكبير "دراسة تاريخية وصفية"

د. وليد عبد الرحمن الآخرس\*

### الملخص:

تقع مدرينة معرة النعمان على بعد ٨٠ كم جنوب مدينة ، وهي على طريق حلب - حماه - دمشق. لعبت دوراً مهماً في أحداث التاريخ الإسلامي، وظهر ذلك من خلال معالمها وأثارها الباقيه، والتي تمثل معظم العصور الإسلامية.

يعتبر الجامع الكبير إحدى هذه المعالم التي تبرز دور المدينة في العصور الإسلامية ، فقد بني بعد فتح المعرة وتم الزيادة عليه في كل عصر وخاصة مئذنته التي تعتبر توأم مئذنة جامع حلب الكبير فهي تشبهها بشكل كبير.

يضم الجامع عناصر معمارية وزخرفية وكتابات تؤرخ بنائه على مر العصور، كما تعتبر مئذنته أجمل عنصر معماري وظهر فيها إبداع المعمار المسلم وهي تشبه إلى حد كبير مئذنة جامع حلب الكبير وكأنهما توأم.

### الكلمات الدالة:

معرة النعمان؛ جامع؛ الأيوبيه؛ المملوكيه

تعتبر مدينة معرة النعمان<sup>(١)</sup> من المدن الهامة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ بلاد الشام في العصر الإسلامي لتميزها بموقعها الاستراتيجي في شمال بلاد الشام، وهي تبعد عن حلب ٨٠كم، وعن مدينة حماه ٦٠كم.

وصفها ياقوت الحموي<sup>(٢)</sup> بقوله: "هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه مأواها من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين".

كما وصفها ابن جبير<sup>(٣)</sup> بقوله: "بلاد المعرة، وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه، ويتصل القاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا".

فيما وصفها ابن بطوطة<sup>(٤)</sup> بقوله: "إنما سميت بمعرة النعمان لأن النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام إمارته على حمص، فدفنه بالمعرة ، فعرفت به، وكان قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل: أن النعمان جبل مطل عليها سميت به، والمعرة مدينة كبيرة حسنة أكثر شجرها التين والفستق، ومنها يحمل إلى مصر والشام".

وهي حتى الوقت الحاضر تتميز بأشجار الزيتون والتين والفستق والعنب، تضم الكثير من المعالم التاريخية الإسلامية من مساجد ومدارس وخانات وحمامات وقلعة وهذا يدل على الدور الهام الذي لعبتها في التاريخ الإسلامي وما تعاقب عليها من أحداث خلال التاريخ الإسلامي.

أهم هذه المعالم: جامع المعرة الكبير وهو موضوع بحثنا، ومسجد يوشع ذي النون وعمر على قبر زعموا أنه ليوشع ذي النون وأصبح مشهد ومسجد وجدد عمارته الملك الظاهر غياث الدين غازي ووقف عليه بالمعرة وقفاً وهو يزار ثم لما خرج الملك المعظم فخر الدين توران شاه من حبس مصر اشتري له بالمعرة أرضاً ووقفها عليه"<sup>(٥)</sup>.

(١) كان تحديد المكانة بين المدن على درجات ثلاثة وتأتي بعدها القرى هكذا صنف الجغرافيون المسلمين الذين في مصنفاتهم فهم يقولون مدينة عظمى أو عظيمة أو كبيرة أو جليلة لبيان درجتها في الاتساع وكثرة السكان، وهذه الدرجة الأولى، أما الدرجة الثانية فيصفونها بقولهم مدينة واسعة أو ليست كبيرة ومنها معرة النعمان، والدرجة الثالثة يسمونها بلدة وقد يضيفون إلى الكلمة بعض المميزات مدينة صغيرة عامرة.....(انظر: شاكر مصطفى، المدن في الإسلام، ج ١، ص ٧٧-٧٨).

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٦.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ٢٢٩.

(٤) ابن بطوطة، تحفة الناظر، ص ٦٢.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ق ١، ج ١، ص ٥٧.

وتوجد مدرسة للشافعية في الطرف الجنوبي من مسجدها الجامع، وتسمى مدرسة (أبو الفوارس) بنيت سنة ١١٧٩هـ / ٥٧٥م<sup>(١)</sup>، وهناك خانان من العصر العثماني بنى أحدهما مراد جلبي سنة ١٥٦٦هـ / ٩٤٧م، والثاني بناء أسعد باشا العظم سنة ١١٦٦هـ / ١٧٤٨م<sup>(٢)</sup>.

ويوجد بها قلعة إلا أنها دمرت وهي عبارة عن شبه قلعة الآن، ولكنها كانت عامرة في القديم وذكرها أبو الفدا<sup>(٣)</sup> في حوادث سنة ٦٣١هـ: "وفي هذه السنة استتم بناء قلعة المعرة وكان قد أشار سيف الدين علي بن أبي على الهمذاني على الملك المظفر صاحب حماه ببنائها فبنيها وتمت الآن، وشحناها بالرجال والسلاح.....".

كما كانت عامرة بالأأسواق "ورأيت أسواق معرة النعمان وافرة العمran"<sup>(٤)</sup>.

وكان للمدينة سور يحيط بها وله أبواب، ولكنه مدمر بالكامل حالياً.

#### تاریخ الجامع من خلال المصادر التاريخية:

فتح أبو عبيدة بن الجراح المعرة سنة ١٥هـ فاذعن إليه أهل المعرة وصالحها على ما صالح به أهل حمص<sup>(٥)</sup>، وكان من شروط الصلح تحويل كنيستهم العظمى إلى مسجد جامع.

كان يسمى في البداية الجامع العمري نسبت إلى المساجد التي بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ولكن هذا البناء طرأ عليه تغيرات كثيرة على مر العصور بعدهما أحرقه امبرطور الروم نفقور فوكاس سنة ٣٥٧هـ / ١٤٩٢هـ وربما تعرض للخراب في الزلازل التي خربت المعرة كلها. فبناء الجامع الحالي لم يكن أذن في عصر واحد بل حدث في أوقات مختلفة وفيه أنماط عديدة من البناء لا نمط واحد، كان مبنياً على أكمة قائمة وسط المدينة، وكان المرء يرتفع إليه من أية جهة أتاه، بثلاث عشرة درجة، ولكن توالي الزلزال بسبب الحروب والغارات والزلازل، جعل المبني ركاماً. وكان الناس يكتفون بالبناء على أنقاض القديم، فجاء البناء الحادث أعلى من القديم، وبهذا السبب صار الجامع منخفضاً ينزل إليه بدرجات<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> منها يسري، معرة النعمان ودورها في عصر الحروب الصليبية، ص ٧٧.

<sup>(٢)</sup> الريحاوي، العمارة الإسلامية، ص ٢٣٧.

<sup>(٣)</sup> أبو الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٩٠.

<sup>(٤)</sup> ناصر خسرو، سفرنامہ، ص ٥٦.

<sup>(٥)</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٥.

<sup>(٦)</sup> عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص ١١٠.

ذكر الرحالة ناصر خسرو<sup>(١٢)</sup> عند زيارته لمعرة النعمان "وقد بني مسجد الجمعة على مرتفع وسط المدينة حيث يصعدون إليه من أي جانب يريدون وذلك على ثلاثة عشرة درجة".

نلاحظ من كلام ناصر خسرو الذي زار المعرة سنة ٤٣٨هـ / أن جامع كان مرتفع وربما لأن الكنائس البيزنطية دائمًا ما كانت في مكان مرتفع في المدينة، وأن وصفه بمسجد الجمعة يدل على أهميته، وأنه كان يوجد مساجد كثيرة في المدينة ولكن كان هو المسجد الجامع حيث تقام فيه صلاة الجمعة والعيدان بالإضافة إلى صلاة الأوقات الخمسة.

ذكر ابن الوردي ت ٧٤٩هـ<sup>(١٣)</sup> في حوادث سنة ٣٢٣هـ: "عملت قبلة المسجد الجامع بمعرة النعمان بالرخام والفصوص والجص، عمل ذلك أخوان من دمشق اسم أحدهما(متوكل)، ولم يزل كذلك إلى أن أحرق نقوش ملك الروم الجامع المذكور وأكثر الدور بعد أن فتحها سنة سبع وخمسين وثلاثمائة".

وهذا دليل آخر على أهمية الجامع وعظمته من حيث البناء والزخارف منذ القرون الإسلامية الأولى.

أما وصف محمد سليم الجندي ١٩٥٥هـ/١٣٧٥م للجامع فكان وصف إلى درجة كبيرة يتطرق مع وضعه الحاضر فقال: "وفي المعرة مساجد كثيرة من أشهرها وأعظمها: المسجد الجامع الكبير، وهو وسط المدينة من الشمال والجنوب، وفي طرفها من جهة الشرق، وهو الفاصل بين المحلة الشمالية والقبلية من هذه الجهة وفي شماليه أرض خالية من العماران يسمونها حيراً، وهو وقف له، وكان غربيه متصلًا بالسوق....."<sup>(١٤)</sup>.

### أوقاف الجامع:

يوجد أوقاف كثيرة لهذا الجامع منذ تأسيسه، بعض هذه الأوقاف نهبت وبعضها انذر نتيجة الحروب التي تعرضت لها المدينة وخاصة الدمار الذي تعرضت لها أثناء احتلال الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م<sup>(١٥)</sup> وقتل جميع سكانها وتدمير وحرق المدينة، وما بقي جرى التعدي عليه في العصر الحديث قبل أن تشرف وزارة الأوقاف على جميع الأوقاف المتبقية.

<sup>(١٢)</sup> ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٥٦.

<sup>(١٣)</sup> ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٥٩.

<sup>(١٤)</sup> الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٣٢-٣٣١.

<sup>(١٥)</sup> ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٣٨٦.

أما هذه الأوقاف التي وصلتنا من المصادر التاريخية القريبة فهي:

٨٢ دكان في الميرة، ٢٦ دار، ١٧ كرم، ٣٤ أرض، ٤ أراضي مغروسة زيتوناً، ٥٥ أحكار، ٣٠٠ جفنة كرم في كفرقلة وهي مزرعة في كفر روما، نصف بيت في كفر روما، ربع الجب في صفة الحاكورة، نصف حاكورة العوسجية، والآن معظم هذه الأوقاف منهوبة<sup>(١٦)</sup>.

### مخطط الجامع:

يتكون الجامع من حرمين جنوبى (القبلية) وشمالي (الحجازية)، وللجامع أربعة أبواب، باب من جهة الغرب وهو أعظم هذه الأبواب، وباب من جهة الشرق، وباب في الجدار الجنوبي للحرم باتجاه السوق ، وباب في الزاوية الشمالية الغربية إلى الشرق من المئذنة، وللجامع صحن خالي من الأروقة. يوجد فيه المزولة والميضاة ومصلى صيفي لصلاة الفجر والعشاء، وبieran لتجميع مياه الأمطار، والمئذنة تقع في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع، بالإضافة بعض الغرف التي أقيمت حديثاً في زوايا الصحن الجنوبية الغربية والشمالية الغربية والزاوية الشمالية الشرقية، وأحدثت مراحيل (حمامات) حديثة خارج الجامع في الجهة الشمالية الشرقية، يوجد غرف بنيت حديثاً في الجهة الجنوبية والغربية من الصحن على يمين الداخل من الباب الغربي، وغرفة على يسار الداخل من الباب الشرقي.

### أبواب الجامع:

كان للجامع أربعة أبواب باب من جهة الغرب وباب من الشرق وباب من الجنوب وباب من الشمال وهذا ما عبر عنه ناصر خسرو<sup>(١٧)</sup> عندما زار الميرة سنة ١٠٤٣هـ/٤٣٨م.

لكن مع توسيع الجامع على مر العصور وخاصة في العصر المملوكي حيث توسيع الحرم الجنوبي وبني الحرم الشمالي (الحجازية) فقد سد الباب من الجهة الشمالية. وبقي الباب الغربي وهو أعظم هذه الأبواب وينزل منه إلى صحن الجامع بست عشرة درجة بعد أن كان يصعد إليه بثلاث عشرة درجة كما ذكرنا سابقاً.

أما الباب الشرقي فهو مع مستوى الأرض وسبب ذلك عدم وجود مبني في القديم من هذه الجهة وانحدار أرض الميرة من الغرب إلى الشرق، وعلى يمين الداخل من هذا الباب جدار توجد فيه آثار تدل على أن هذا الجامع كان مركز عبادة منذ القديم ففي الجدار آثار رومانية ورأس ثور بارزان جداً وقرص شمس وأحرف يونانية وكلها تدل على أنه كان في الأصل معبداً وثنياً، وقد تحول إلى كاتدرائية في

<sup>(١٦)</sup> الجندي، تاريخ ميرة النعمان، ج ١، ص ٣٥١، ٣٥٢.

<sup>(١٧)</sup> ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٥٦.

العصر البيزنطي يقوم سقفها على أعمدة اسطوانية ذات تيجان كورانثية تحملها قواعد كبيرة مايزال بعضها يحمل أحرف يونانية.....<sup>(١٨)</sup>

أما الباب الجنوبي فكان في الجدار الجنوبي للقبيلية ويوصل إلى السوق ولكنه أغلق<sup>(١٩)</sup>.

فتح باب في الجهة الشمالية الغربية شرق المنارة مباشرة وتم فتحه في منتصف القرن ١٣ هـ / ١٩١٣ م<sup>(٢٠)</sup>.

### الصحن:

يتوسط الجامع صحن مكشوف خالي من الأروقة يقع بين الحرم الجنوبي والحرم الشمالي وبين الباب الغربي من الغرب والباب الشرقي من الشرق، ويضم عناصر معمارية مهمة: المزولة، الميساة، مصلى أمام الحرم الشمالي وبئران لتجمیع مياه الأمطار، أرضية هذا الصحن مبلطة بالحجارة.

### الحرم الجنوبي "القبيلية":

هذا الحرم الجنوبي كما هو في شكله الحالي بني في العصر المملوكي هو والحرم الشمالي (الحجازية).

طول هذا الحرم من الشرق إلى الغرب حوالي ٥٨ م، وعرضه من الجنوب إلى الشمال ٥٦ م وهو أعظم وأوسع من الحرم الشمالي، فيه محراب ومنبر قديم من الخشب، وله ثمانية أبواب مطلة على صحن الجامع وست نوافذ فوق هذه الأبواب، السقف عبارة عن عقد مصلب يستند على دعائم وسطية مربعة وأنصاف أعمدة متصلة بالجدران، وتنتظم ست قباب حجرية مدببة الشكل بصفين وسط السقف الذي أقيم في العهد المملوكي، وزينت نوافذ الجدار الجنوبي بشبك حجري وزخرفت بأشكال ساداسية جميلة جداً بإستثناء نافذتين لهما شبك من الحديد المزخرف بنقوش وكتابات عربية جميلة نافرة تتألف من سطرين:

"حمل لرسم جامع المعاشر المعمور.

عمل الحاج عمر الريhani عفا الله عنه"<sup>(٢١)</sup>.

يوجد كتابة عربية نافرة مؤلفة من ثلاثة عشر سطراً تقع في الجدار الجنوبي للقبيلية إلى الشرق من المحراب يرقى تاريخها إلى سنة ٧٧٥ هـ. وهذا هو نصها:

<sup>(١٨)</sup> وليد قنبار، معرة النعمان، ص ٤٢.

<sup>(١٩)</sup> الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٣١.

<sup>(٢٠)</sup> الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٣١.

<sup>(٢١)</sup> وليد قنبار، معرة النعمان، ص ٤١.

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الأم بالعدل والإحسان، الناظر بعين الرحمة إلى كل إنسان، الموفق للعمل الصالح من اختار.
  - ٢- وشرف سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأظهر مناره، وبعد فلما جدد كان مولانا ملك الأمراء المقر السيفي (أرغون) زين الأشرف في كافل.
  - ٣- المملكة الحموية أعز الله أنصاره وجعل الإحسان شعاره إلى المعرفة المعمورة التي أصبحت من كفالته مغمورة وجد الجامع وأوقافه.
  - ٤- الآلي للديون طالع بأمره للأبواب الشريفة طالب مرضاه العزيز الغفور أن أوافقه يؤخذ منها لأنارتة النقود بالكامل.
  - ٥- ولم يفضل منه ما يقوم بمصالحة ولم يغفل ذلك من هو للخير عامل فبرز المرسوم الشريف بكل فصل منيف وأقر رسمه بالأمر الشريف العالى المولوى.
  - ٦- السلطان الأشرف الناصر لازال يلحظ بمصالح بيوت الله فتغدو عامرة مراحة الأذار ويحفظ مقام جهاتها من بين بر سعيها فلا ...
  - ٧- على الاستمرار ويجنح إلى إقامة شعائر الدين الحنيف باستี่صال منطقي بعمارته بتمام التعرف بجمعها وجماعتها له الجنان أن يصرف من ربع وارد الجامع.
  - ٨- المعمور بالمعرفة تامة بحدوث من العمارة ويصرف بعد ذلك ما يحتاج إليه من الفرش والتلوير من أجر الخطيب والمؤذن والقومة ومن
  - ٩- يكون في درجتهم من يقوم بعمارة كاملة ومهما فعل بعد ذلك يصرف لأرباب النفوذ من الأمراء والجند والمستفردين برسم
  - ١٠- الوقف المذكور بينهم بالسوية فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ويعمل بحسبه ومقتضاه من (غرة)
  - ١١- عنه ولا خروج به ما عبره بعد الخط الشريف اعلاه أن شاء الله تعالى كتب في تاسع عشرین شوال سنة خمسة وسبعين وسبعين مائة
  - ١٢- فلذلك رسم بالأمر العالى السيفي المشار إليه أن ينقر على الحجر ليخلد إلى يوم المحشر انتصاراً وعدلاً
  - ١٣- يرد عنه كلما أذن مؤذن وكبر خطيب وخطب على منبر والله تعالى يلهم ولاده الأمور باستدارته أو بسائل يعتبره من تحجمه وزارته<sup>(٢٢)</sup>.
- هذه الكتابة تعتمد على السجع لذلك تبدو أحياناً غير مفهومة، وتدل هذه الكتابة على تاريخ تجديد وتوسيع الحرم الجنوبي في العصر المملوكي.

<sup>(٢٢)</sup> الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٤٣؛ عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، عدد ١٩٦١، ص ١١٢، ١١١.

### الحرم الشمالي "الحجازية":

يقع هذا الحرم شمال صحن الجامع وفيه تقام صلاة الجماعة في الشتاء، لأنه أكثر دفناً من الحرم القبلي، وأصغر حجماً، وفيه عدة أحجار منحوتة تمثل زخارف نباتية وهندسية تتواضع في الجدار الغربي مما يلي المدخل الغربي نفسه، ويظهر أن الأحجار كانت مستخدمة في بناء سابق، ويتصل هذا الحرم من جهة الغرب بباب المسجد الشمالي ومدخله إلى صحنه، وفي سقف هذا الباب والمدخل غرفة تصل بين منارة المسجد والجازية ، يصعد إليها من الدرج الذي يصعد منه إلى المنارة وفي هذا المدخل عن يمين الداخل غرفة صغيرة تحت المنارة من الطرف الجنوبي<sup>(٢٣)</sup>.

كان يتصل به من جهة الشرق رواق عظيم في صدره غرفتان يقيم فيهما الفقراء من مهاجرة الغرب والهند والعجم وغيرهم ومن يمر بالمعرة فقيراً، وباب الغرفتين يتجه إلى القبلة (الجنوب) ويتصل بهما غرفة أخرى بابها باتجاه الغرب، وكان يقيم فيهما متولى وقف الجامع وجابيه، ثم ضم جميع الرواق والغرفتين إلى الحجازية ، وجعل فيها محل للوضوء، وفتح لها باب إلى جهة الجنوب من جهة الغرب في سنة ١٣٤٧ هـ . فما بعدها إلى سنة ١٣٤٦ هـ<sup>(٢٤)</sup>.

يوجد في جنوب الحجازية من الشرق باب صغير، فيه غرفة كانوا يضعون فيها الدابة التي يخرج عليها الماء من ركبة (بئر) الجامع، وتصب في خزان يسبيل منه إلى المراحيض (الحمامات) والمسجد، وهذه الغرفة شمالي المراحيض إلى الغرب<sup>(٢٥)</sup>.

يوجد نص كتابي في الواجهة الجنوبية للجازية المطلة على الصحن مؤلفة من ثلاثة أسطر يعود تاريخها إلى سنة ٨٨٦ هـ، ونصها كمالي "١ - لما كانت بتاريخ الستة أشهر. ٢ - سنة ستة وثمانين وثمانمائة برب المرسوم....."<sup>(٢٦)</sup>.

### مصلى صحن الجامع:

يقع في صحن الجامع تقام فيه صلاة الفجر والعشاء جماعة في فصل الصيف<sup>(٢٧)</sup>.

يقع هذا المصلى أمام الحرم الشمالي ويرتفع عن أرضية صحن الجامع الأصلية بمقدار ذراع، في وسطه من الجنوب شبه محراب وهو بعرض أربعة أمتار ويمتد من الغرب إلى الشرق<sup>(٢٨)</sup>.

<sup>(٢٣)</sup> وليد قنبار، معرفة النعمان، ٤٢.

<sup>(٢٤)</sup> الجندي، تاريخ معرفة النعمان، ج ١، ص ٣٤٥.

<sup>(٢٥)</sup> الجندي، تاريخ معرفة النعمان، ج ١، ص ٣٤٦.

<sup>(٢٦)</sup> عبد الرحيم المصري، نبذة من أوابد معرفة النعمان، ص ١١٢.

<sup>(٢٧)</sup> الجندي، تاريخ معرفة النعمان، ج ١، ص ٣٤٦.

### المزولة:

تقع هذه المزولة في صحن الجامع غرب الميضة وهي بناء سداسي الشكل ويعرف بها وقت صلاة الظهر والعصر. وتقوم على ستة أعمدة أسطوانية بقبة مدببة وهي لا تحمل أي زخارف معمارية.

يعتقد أن هذه المزولة من بقايا الجامع العمري (القديم) أي الذي بني بعد فتح المدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب<sup>(٢٩)</sup>

### الميضة

تقع هذه الميضة في وسط صحن الجامع إلى الشرق من المزولة، تقوم هذه الميضة على عشرة أعمدة فوقها قبة نصف كروية، وهي عبارة عن حوض مائي مقام عليه أنصاف أعمدة أسطوانية الشكل تعلوها تيجان كورنثية مزخرفة ترتبط مع بعضها البعض من الأعلى بعوارض حجرية، تعلوها أيضاً أنصاف قناطر دائرية الشكل يرتفع عليه "أرشتراف" مزخرف بورق الأكانتس ويلاحظ التأثر الكلاسيكي في هذه الزخارف، ونظرة على هذا البناء يلاحظ اعتماد عناصر معمارية نقلت من موقع أثري كالتيجان المزخرفة والأرشتراف<sup>(٣٠)</sup>.

هذه الحجارة نقلت من مباني قديمة تعود للعصر البيزنطي وبنيت فيها هذه الميضة، وتنجلى براعة المعمار المسلم بتركيب هذه العناصر بطريقة جميلة ومتناهية تبدو وكأنها نقلت كتلة واحدة ووضعت في صحن الجامع.

### القباب

يوجد فوق الحرم الجنوبي ست قباب عبارة عن صفين كل صف ثلث قباب متجاورة.

شكلت هذه القباب مع المئذنة المربعة بخطوطها المستقيمة عنصراً معماريان مختلفان في الهيئة تمازجاً جميلاً وتوارزاً بين الخطوط وشكلاً وحدة جمالية يرتاح إليها النظر. كماأخذت القبة دوراً هاماً في تتويج وإتمام سقف المسجد الذي بدأ مساحات طويلة من سقفه كأنها مقطوعة نتيجة لتطاول جدرانه واتساع مساحته<sup>(٣١)</sup>.

<sup>(٢٨)</sup>الحندي، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٤٦.

<sup>(٢٩)</sup>وليد قباز، معرة النعمان، ص ٤٢.

<sup>(٣٠)</sup>وليد قباز، معرة النعمان، ص ٤٤؛ عبد الرحيم المصري، نبذة من أوابد معرة النعمان، ص ١١٣.

<sup>(٣١)</sup>فؤاد فياض خضراء، المآذن المربعة، م ٤، ص ٢٨.

بنيت هذه القباب من الحجر لذلك تعتبر قباب حجرية، أنشئت في العصر المملوكي، وتقوم هذه القباب على أقواس مدببة نصف دائرة، واستخدمت المثلثات الكروية للانتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري، ويوجد في رقبة هذه القباب شبابيك للتهوية والإلارة.

### المنبر والمحراب

كانت القبلية تضم منبراً ومحرابةً من الرخام ومزينة بالفصوص والجص حتى منتصف القرن الرابع الهجري قبل أن يحرق امبراطور الروم نقوس فوكاس الجامع سنة ٣٥٧هـ، وهذا ذكره ابن الوردي<sup>(٣٢)</sup> في حادث سنة ٣٢٣هـ: "عملت قبلة المسجد الجامع بمعمرة النعمان بالرخام والفصوص والجص، عمل ذلك اخوان من دمشق اسم أحدهما(متوكل)، ولم يزل كذلك إلى أن أحرق نقوس ملك الروم الجامع المذكور وأكثر الدور بعد أن فتحها سنة سبع وخمسين وثلاثمائة".

عندما تم تجديد وتوسيع الحرمين الجنوبي والشمالي فقد عمل منبر ومحراب يلاق بالجامع وحجم التجديفات لكن المصادر لم تذكر شيء مفصل عنهم.  
أما الآن فالمنبر والمحراب مصنوعان من الخشب.

### المنارة "المئذنة"

تقع هذه المئذنة في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع، وهي في غاية الجمال والروعة لما تحملها من عناصر فنية وخرافية غاية في الجمال.

تعتبر هذه المنارة المربعة أجمل أثر عمراني أبقاءه الزمان في المعرفة وأنفس ذخيرة حفظتها الأيام لتكون مثلاً يدل على مبلغ الفن العمري في ذلك العهد وهي الحق يقال بديعة الرواء محكمة البناء لا تدانيها في أحكام الصنع ودقة الوضع إلا مئارة الجامع الكبير في مدينة حلب<sup>(٣٣)</sup>.

بنيت هذه المئذنة في العصر الايوبي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م في عهد المنصور ناصر الدين محمد الأول ملك حماه من أسرة شاهنشاه بن أيوب عم صلاح الدين وعليها كتابة تؤرخ بناءها وتذكر اسم المعمار وهي جيدة البناء شبيهة بمنارتها وزخارفها بمئذنة الجامع الكبير في حلب، وهي مربعة الشكل باللغة الارتفاع<sup>(٣٤)</sup>.

تنقسم هذه المئذنة إلى ثمانية أبراج متساوية في الطول والعرض، ارتفاع كل واحد منها نحو ٨٥م وأحد هذه الأبراج مدفون معظمه في الأرض، وفي كل برج

<sup>(٣٢)</sup> ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٥٩.

<sup>(٣٣)</sup> عبد الرحيم المصري، نبذة من أوابد معمرة النعمان، ص ١١٠ - ١١٢.

<sup>(٣٤)</sup> الريحاوي، العمارة الإسلامية، ص ١٤٥.

أربع نوافذ من جهاته الأربع، متساوية في الشكل والحجم، ومخالفة لنوافذ الأبراج الأخرى، وفي أعلىها حلق (دروابزين) من حجارة كبيرة يحيط بأطرافها الأربع، وهو بديع الشكل، دقيق الصنعة، مثقب على نمط متشابه أنيق، وفي الوسط غرفة صغيرة كانت توضع فيها المصابيح التي توقد في شهر رمضان والأيام المباركة ... وفوق الحلق قبة قائمة على أربعة أعمدة وفي أطراف المنارة من جهاته الأربع حجارة بارزة على قدر متساو كالخطوط العريضة من أدناها إلى أعلىها، ويقسم كل برج عن الآخر بمثل هذه الحجارة.... وفي المنارة كتابة تشير إلى تاريخ بنائها على يد قاهر بن على بن قانت<sup>(٣٥)</sup>.

كتب على قوس الشباك في جهتها الشرقية هذه الجملة: "صنعه قاهر بن قانت رحمة الله" وقد بني هذا الرجل المدرسة الشافعية سنة ٥٧٥هـ، فيكون بناء المنارة في ذلك العهد<sup>(٣٦)</sup>.

يوجد مثل هذه الكتابة في البرج الثاني من جهة الغرب، في أعلى المنارة من الجهة الشمالية الغربية حجر داخل المنارة، نقش عليه كلمات منها: "الحمد لله رب العالمين أما بعد فقد وضع هذه الشبكة المعلم إبراهيم"، وفي الطرف القبلي أمام هذه الكتابة نقش هذه الكلمات: "جدد هذه الشبكة العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج خليل ابن الحاج محمد النطار عفا الله عنه وعن المؤمنين"<sup>(٣٧)</sup>.

تأثرت هذه المئذنة نتيجة الحرب الدائرة في سوريا منذ ٢٠١١م، فقد تعرضت أطرافها إلى بعض المطلقات الناريه وفي الأعلى أيضاً دمر جزء من الدروابزين وجزء من القبة التي في الأعلى.

<sup>(٣٥)</sup>الجندى، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ وليد قنباز، معرة النعمان، ص ٤؛ عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معرة النعمان، ص ١١٤.

<sup>(٣٦)</sup>الجندى، تاريخ معرة النعمان، ج ١، ص ٣٤٨.

<sup>(٣٧)</sup> المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٩.

النتائج:

تميزت مدينة المعرفة بموقعها الوسط بين مدن الشام وهذا الموقع أعطاه غنى حضاري على المستوى الثقافي والعمري.

بني الجامع على مراحل مختلفة منذ فتح المدينة سنة ١٥ هـ حتى نهاية العصر المملوكي.

حدثت إضافات على الجامع مثل بناء غرف حديثة أثرت على رونق وجمالية الجامع.

يوجد في الحرم الجنوبي لهذا الجامع تقريرًا أكبر كتابة عربية نافرة، وأيضاً وجود هذه الكتابة داخل الحرم نادر الحدوث في المباني الإسلامية.

تعرض هذا الجامع للكثير من الضرر والدمار لذلك كانت التجديدات مستمرة فيه على مر العصور.

تعتبر مئذنة هذا الجامع آية في الجمال لما تحويه من عناصر هندسية وزخرفية جميلة جداً تدل على إبداع المعمار المسلم.

كانت أوقاف هذا غني ولكنها تعرضت للدمار والنهب على مر تاريخ هذا الجامع.

## قائمة المصادر والمراجع

### - المصادر العربية:

- ١- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)، الكامل في التاريخ، تح خيري سعيد، ١٠ أجزاء، المكتبة التوفيقية، القاهرة ٤٢٠٠ م.
- ٢- ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الواتي الطنجي ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)، تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- ٣- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البانسي ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)، الرحلة، دار صادر، بيروت د.ت.
- ٤- ابن شداد (عز الدين محمد ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، دومنيك سورديل، جرآن، دمشق ١٩٥٣ م.
- ٥- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي ت ١٣٣٢ هـ / ١٢٣٢ م)، المختصر في أخبار البشر، تح محمد زينهم عزب، ٤ أجزاء، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨ م.
- ٦- محمد سليم الجندي، تاريخ معراة النعمان، تح عمر رضا كحالة، ٣ أجزاء، ط٢، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٤ م.
- ٧- تاصر خسرو علوى، سفر نامة، ت يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣ م.
- ٨- الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١ هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ٩- ابن الوردي (زين الدين عمر بن المظفر ت ٧٤٩ هـ)، تاريخ ابن الوردي، جرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ م.
- ١٠- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢١ م)، معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت ١٩٩٢ م.

### - المراجع العربية:

- ١- شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني "إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها"، جرآن، ط٢، دار طлас للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٧ م.
- ٢- عبد القادر ريحاوي، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وأثارها في سوريا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩ م.

### - المراجع المغربية:

- ١- ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العربي، ٣ أجزاء، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١ م.

### - المجالات والدوريات:

- ١- عبد الرحيم المصري، نبذ من أوابد معراة النعمان، مج ١٩، مجلة الحوليات الأثرية السورية، سورية ١٩٦٩ م.
- ٢- فؤاد فياض خضراء، المآذن المربعة: هويتها ، تأثيرها وتأثيرها، أبحاث ندوة عمارة المساجد، ٤، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود ١٩٩١ م.
- ٣- وليد قنبار، معراة النعمان مدينة الموري، مجلة الفيصل، عدداً ٤، الرياض ١٩٨١ م.

**الرسائل العلمية:**

- ١ - عبد الرزاق القصيري، مآذن حلب الباقية من العصر المملوكي وحتى نهاية العصر العثماني،  
ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠١٣م.
- ٢ - مها يسري محمد، معرة النعمان ودورها في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٧ - ١٢٩١م / ٤٩٠ - ٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٩٨م.

- الشبكة الدولية للمعلومات
- مديرية سياحة ادلب

- [images.search.yahoo.com](http://images.search.yahoo.com)

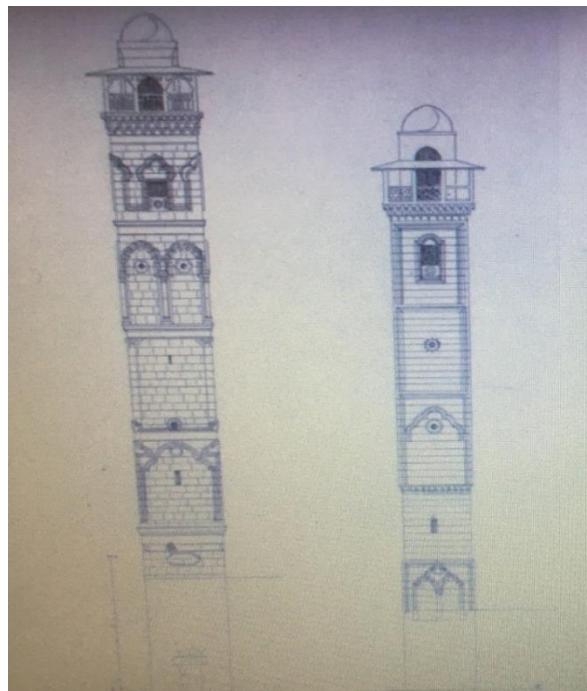
- <https://www.facebook.com> صفحة جامع الكبير في معرة النعمان

**المراجع الأجنبية:**

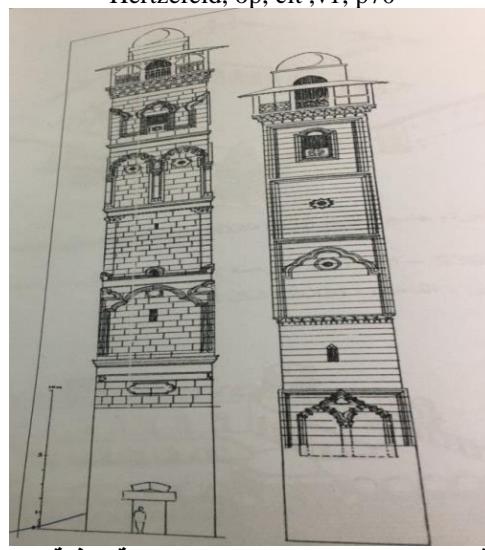
- 1- Hertzefeld, Materioux pour un corpus inscriptionnaun arabicarum et monuments D,Alep, 1954.

الأشكال واللوحات

- او لا الأشكال:



على اليمين واجهة مئذنة معربة النعمان، وعلى اليسار واجهة مئذنة جامع حلب الكبير، عن  
Hertzfeld, op, cit ,v1, p70

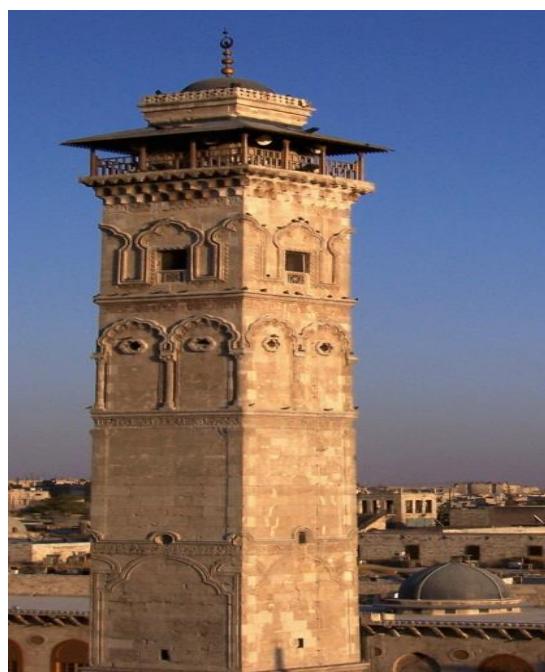


على اليمين واجهة مئذنة معربة النعمان، وعلى اليسار واجهة مئذنة جامع حلب الكبير، عن عبد  
الرزاق القصیر، مآذن حلب الباقيّة، ج ٢، ص ٤٨٠.

ثانياً اللوحات



منذنة جامع المعرة الكبير، مديرية سياحة ادلب



منذنة جامع حلب الكبير، تصوير الباحث



الميضاة والمزولة والباب الشرقي، جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



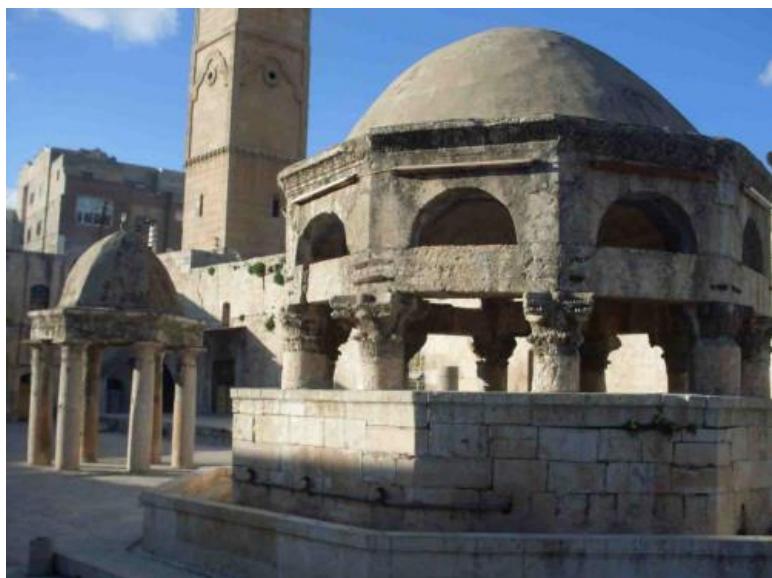
الحرم الجنوبي والمنبر والمحراب والقبة من الداخل

موقع مديرية السياحة ادلب



الحرم الجنوبي من الداخل جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



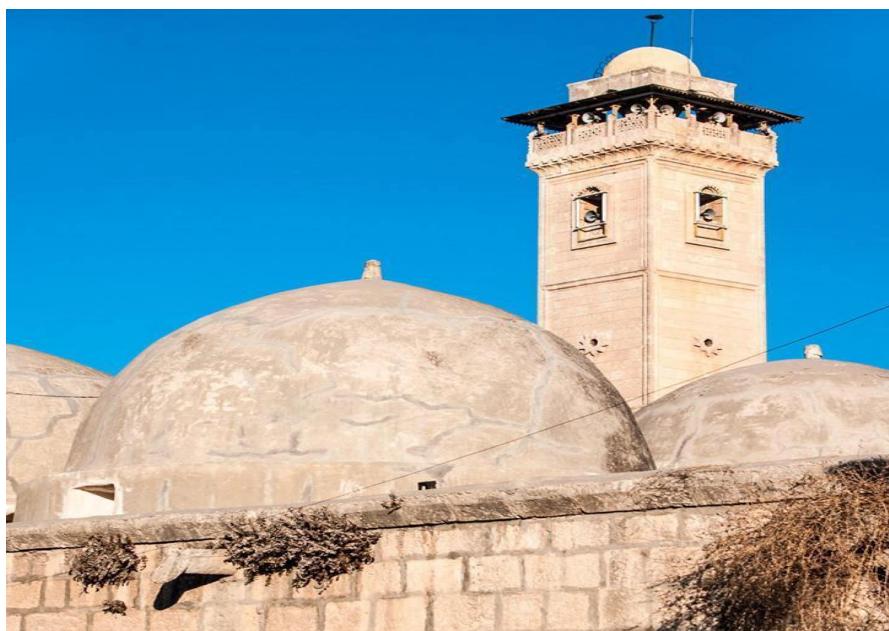
الميضة جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



منذنة جامع المعرة، جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



جزء من قباب جامع المعرة جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



منظر عام لجامع المعرة الكبي جامع معرة النعمان الكبير ر

<https://images.search.yahoo.com>



المزولة والميضاة جامع معرة النعمان الكبير

<https://images.search.yahoo.com>



جزء العلوي من المئذنة المدمرة جامع الكبير في معرب النعمان

<https://www.facebook.com>



الأضرار التي تعرضت لها المئذنة صفة الجامع الكبير في المعرب

<https://www.facebook.com>

## Mosque of Maarat al Nu'man –al - Kabeer “A descriptive historical study” Dr.Walid Abdulrahman Alakhras•

### **Abstract:**

Madreenah Maarat al-Nu'man is located 80 km south of Madinah, on the Aleppo-Hama-Damascus road. Played an important role in the events of Islamic history, and this was shown through its features and remaining effects, which represent most of the Islamic ages.

The Great Mosque is one of these landmarks that highlight the role of the city in the Islamic times. It was built after the opening of the Ma'arah and was enlarged in every era, especially its minaret, which is considered the twin of the minaret of the Great Mosque of Aleppo.

The mosque has architectural and decorative elements and writings that date to its construction throughout the ages. Its minaret is considered to be the most beautiful architectural element in which the creativity of the Muslim architecture is very similar to the minaret of the Great Mosque of Aleppo.

### **Keywords:**

Maarat al Nu'man, Mosque, Ayyubid, Mamluk.

---

• Researcher - Aleppo University – Syria [w.alkhras1977@yahoo.com](mailto:w.alkhras1977@yahoo.com)